دراسة بلاغية في مقامات الهمذاني
المحسنات اللفظية

د. فاطمة عبد الوهاب حسن عبد المجيد*

المستخلص

هذه دراسة بلاغية نقدية لمقامات بديع الزمان الهمذاني، هدفت إلى بيان المحسنات البديعية التي اشتملت عليها مقامات الهمذاني، وإلى توضيح الجوانب الأساسية التي اختص بها فن المقامة من أسلوب ولغة وأغراض وأهداف وغيرها. كما هدفت إلى إبراز أهم الخصائص الأدبية والفنية لمقامات الهمذاني, ومدى ارتباطها بالمحسنات البديعية والزخارف اللفظية المختلفة.

وقد اتبعت الباحثة في هذه الدراسة المنهج التحليلي الوصفي، وقد توصلت هذه الدراسة إلى أن فن المقامات فن شامل جمع بين كثير من الفنون الأدبية المختلفة، فقد جمع بين النثر والشعر والقصة وغيرها، كما اشتمل على كثير من العلوم الأدبية والبلاغية والنحوية، وجمعت المقامة كما هائلا من شوارد اللغة العربية وغريبها وفصيحها. كما توصلت هذه الدراسة إلى أن علم البديع علم واسع الأبواب, متشعب الفروع, ومن الصعب حصره أو رصده.

Abstract

This is a rhetorical/critical study of Badi' al-Zaman al-Hamadhani's*Makamat* .It aims at elucidating the different artifices of ornamentation and embellishment included in al-Hamadhani's*Makamat* and explaining the basic aspects which are characteristically in common with the *Makama* art such as the style, language,purposes and others . Likewise it aimed at highlighting the main literary and artistic characteristics of al-Hamadhan's*Makamat*. The study also investigated the extent of

* أستاذ مساعد / التخصص اللغة العربية – كلية دلتا العلوم والتكنلوجيا.

the linkage of *Makamat* with the rhetorical ornaments and the varied literal embellishments.
This study found that *al-Makamat* art is an all-inclusive one bringing together most of the varied literary genres ,as it combined between prose, verse ,the story and others .,The study also concluded that the science of the figures of speech is of extensive fields and manifold sections and hence it is difficult to enumerate or monitor it .

المحور الأول:البديع والمقامات.

- أولاً: تعريف البديع لغة واصطلاحا.
- ثانياً: السجع.

المحور الثاني: أكثر المحسنات اللفظية وروداً في مقامات الهمذاني.

المحور الثالث:المحسنات اللفظية الأقل وروداً في مقامات الهمذاني.

- أولاً: لزوم مالا يلزم
- ثانياً: الاقتباس
- ثالثاً: الموازنة
- رابعاً: التوشيع

مقدمة:

الحمدللهبديع السموات والأرض, مبدع الأكوان, ومنزل القرآن, ومعلم البيان, وأفضل الصلاة وأتم السلام على محمد بن عبدالله خير الأنام, وناشر رسالة الإسلام. أمابعد،،

تعد المقامات إحدى الألوان الأدبية، والفنون النثرية التي ظهرت في القرن الرابع الهجري، جوهرها القصة أو الحكاية، ويبالغ فيها بالاهتمام في الأناقة اللفظية والمحسنات البديعية، وتشتمل على أسلوب مختلف من الألوان الأدبية الأخرى لاحتوائها على الطرفة والمتعة والفكاهة. للمقامة دلالاتها العديدة في كتب الأدب ودواوين الشعر ومعاجم اللغة. وقد أورد كثير من علماء اللغة تعريف المقامة لغوياً،

فقد ذكر ابن منظور تعريف المقامة بقوله: "والمَقامُ والمَقامةُ المجلس, ومقامات الناس مجالِسهم,...

ويقال للجماعة يجتمعون في مجلس مَقامة. ومنها قول لبيد:

وَمَقَامَةٍ غُلْبِ الرِّقابِ كَأَنَّهُمْ جِنٌّ لَدَى طَرَفِ الحَصِيرِ قِيَامُ [1]

ومنها قول زهير:

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حِسَانٌ وُجُوهُهُمْ وأَنْدِيَةٌ يَنْتابُها القولُ والفِعلُ[2]". [3]

أما القلقشندي فقد عرّف المقامات بقوله: "هي جمع مقامة بفتح الميم، وهي في أصل اللغة اسم للمجلس والجماعة من الناس. وسميت الأحدوثة من الكلام مقامةً، كأنها تذكر في مجلس واحد يجتمع فيه الجماعة من الناس لسماعها. أما المقامة بالضم. فبمعنى الإقامة، ومنه قوله تعالى: "الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ..."[4]". [5].

أوضحت الدراسات السابقة أن أولمنأنشأهذاالفنهوبديعالزمانالهمذاني – مع اختلاف الآراء حول هذا – ويعد الهمذاني من أعلام الأدب المشهورين الذين ارتبط اسمهم بفن المقامات. ويمكن القول إن الهمذاني قد امتاز بقريحة وقادة, وبصيرة نفاذة, وذخيرة من الأدب فياضة ألهمت صاحبها تأليف عدد من المقامات, جعلت اسمه خالدا في صفحات الأدب العربي عامة, وفي فن المقامات خاصة. ولعلم قاماته كانت النموذج الأمثل لكل من كتب المقامات بعده.

---

(1)ديوان لبيد بن أبي ربيعة العامري, دار صادر بيروت, (د.ط), (د.ت), ص 161.

(2)ديوان زهير بن أبي سلمى: اعتنى به وشرحه حمدو طمّاس, دار المعرفة لطباعة والنشر والتوزيع, بيروت, لبنان, ط2, 1426هـ-2005م, ص 50

(3) لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، 1956م، (د.ط), ج15، ص 409.

(4)سورة فاطر: جزء من الآية (35).

(5)صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: أبو العباس أحمد القلقشندي، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1338هـ- 1919م، (د.ط), ج14، ص 110.

المحور الأول

البديع والمقامات

أولاً: تعريف البديع لغة واصطلاحا:

يعد علم البديع أحد أضلاع متلث علم البلاغة مع المعاني والبيان, وهي علوم تتحرى مواطن الصحة والحسن في كلام العرب شعره ونثره من حيث المعاني والألفاظ. لذا كان لزاما على دارس اللغة العربية وآدابها أن يصيب قدرا من معرفة هذه العلوم.

البديع لغة:

بدَعَ الشيءَ يَبدِعهُ بَدعْاً, وابتدعه: أنشأَهُ وبَدَاَهُ.والبِدَعُ الشيء الذي يكون أولاً[1]. ومنها قوله تعالى: "بَديعُ السَّمواتِ والأرضِ وإذا قضَى أمراً فإنَّما يقولُ لهُ, كُنْ فيكونُ".[2]

البديع اصطلاحا:

هو علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسناً و طلاوة, وتكسوه بهاءً ورونقاً بعد مطابقته لمقتضى الحال, ووضوح دلالته على المراد.[3].

عرفه الخطيب القزويني بقوله: "هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال, ووضوح الدلالة"[4].

---

(1)لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد مكرم بن منظور, دار صادر بيروت, ط الثالثة, 2004م, مادة (بدع).

(2)سورة البقرة, الآية: (117).

(3)جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع, تأليف: السيد أحمد الهاشمي, ضبط وتوثيق وتدقيق د. يوسف الصيملي, المكتبة العصرية, صيدا, ط الأولى, 1999م, ص 298.

(4)الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني, راجعه عماد بسيوني زغلول, مؤسسة الكتب الثقافية, بيروت, ط الثالثة, (د.ت), ص190.

لقد كان لابن المعتز قصب السبق في بذر النواة الأولى لهذا اللون البلاغي, إذ يعد أول من وضع معالم علم البديع وأسسه. يقول السيوطي في ذلك: "وأول من اخترعه وسماه بهذا الاسم عبدالله بن المعتز, وجمع منه سبعة عشر نوعا. وقال في أول كتابه: "وما جمع قبلي فنون البديع أحد ولا سبقني إليه مؤلف, وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين" ".[1]

ويعد كتابه (البديع) أول كتاب في البلاغة يختص بهذا الفن الذي لم يسبقه إليه في ميدانه أحد.[2]

قد اقتفى أثر ابن المعتز كثير من الكتاب الذين اهتموا بدراسة وتطوير فن البديع, منهم قدامه بن جعفر, وأبو هلال العسكري, وابن رشيق القيرواني وعبدالقادر الجرجاني, مروراً بالزمخشري وابن الأثير, ووصولا إلى صفي الدين الحليِّ فعزالدين الموصلي وابن حجة الحموي وغيرهم الكثير[3].

والمحسنات البديعية ضربان[4]: معنوي يرجع إلى تحسين المعنى أولا وبالذات, وإن كان بعضها يفيد تحسين اللفظ أيضا, وضرب لفظي يرجع إلى تحسين اللفظ أصلا, وإن تبع ذلك تحسين المعنى. لأن المعنى (إن) عُبِّر عنه بلفظ حسن استتبع ذلك زيادة في تحسين المعنى, من أمثلة الضرب الأول: الطباق, والمقابلة, والتورية,

(1) شرح عقود الجمان في المعاني والبيان: تأليف جلال الدين السيوطي, تحقيق: د. إبراهيم محمد الحمداني, ود. أمين لقمان الحبَّار, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط الأولى, 2011م, ص 243.

(2) نقلا عن علم البديع في البلاغة العربية: د.محمود أحمد حسن المراغي. دار العلوم العربية. بيروت, لبنان, ط1, 1991م. ص11.

(3) كتاب البديع: أبو العباس عبدالله بن المعتز, شرحه وحققه: عرفان مطرجي, مؤسسة الكتب الثقافية للطباعة والنشر, بيروت, لبنان, ط الأولى, 1433هـ-2012م, ص 6-7.

(4)علم البديع: الدكتور عبدالعزيز عتيق, دار النهضة العربية, بيروت, لبنان,(د.ط),(د.ت), ص 76.

ومراعاة النظير, والجمع والتفريق, وغيرها.أما المحسنات اللفظية فمن أمثلتها السجع والجناس والموازنة والتصدير والتوشيع وغيرها الكثير.

ثانياً: السجع:

الملاحَظ في أسلوب المقامة بوجه عام, أنه يعتمد على التأنق في اختيار الألفاظ, ووضعها في قالب زخرفي موشى بالمحسنات البديعية, لاسيما السجع.

المقامة في نسجها تعتمد على قالب السجع اعتمادا كليا, إذ يعد هذا اللون البديعي أهم سمة لتعريف المقامة, وكثيرا ما يدخل السجع في تعريف المقامة, وأحد هذه التعريفات يشير إلى أنِّ المقامة: "نٌّص أدبيّ مسجوع مرصَّع بالمحسنات البديعية".[1]في ذكر مميزات المقامة جاء القول بأنَّ المقامة ملتزمة السجعات, أنيقة العبارات, حافلة بالمحسنات المعنوية واللفظية.[2]

تعريف السجع:

السجع هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير[3].وهو ثلاثة أقسام:

1-المُطرَّف: وهو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن, واتفقتا في الحرف الأخير.

2- المُرصَّع: وهو ما كان فيه ألفاظ إحدى الفقرتين كلها أو أكثرها مثل ما يقابلها من الفقرة الأخرى وزنا وتقفية, ومثاله قول الهمذاني في المقامة الكوفية: "حتى شربتُ من العمرِ سائغَهُ, ولبستُ من الدَّهرِ سابِغَهُ".[4]

(1)شرح مقامات جلال الدين السيوطي, تحقيق سمير الدروبي, مرجع سابق, ص 42-44.

(2)أدباء العرب في الأعصر العباسية: بطرس البستاني, مرجع سابق, ص 390.

(3)جواهر البلاغة, أحمد الهاشمي, مرجع سابق, ص330.

(4) مقامات بديع الزمان الهمذاني, محمد عبده, ص29.سائغهُ: أي أعذبه وأصفاه . والسابغ من الثياب هو الطويل الذي يغطي كل البدن .

3- المتوازي: وهو ما كان الاتفاق فيه في الكلمتين الأخيرتين فقط, نحو قوله تعالى: "فيها سُرُرٌ مرفوعةٌ, وأكوابٌ موضوعةً".[1]

يقول زكي مبارك عن هيمنة فن السجع في عصر بديع الزمان: " لقد بدأ سلطان السجع يطغى على كتابات الكتّاب منذ القرن الثالث, فلما جاء القرن الرابع كان السجع لدى الكتّاب هو المثل الأعلى الذي يحتذى, فظل السجع مهيمنا على النثر الفني نحو عشرة قرون, وظلت المقامات هي مجاله الفسيح, ومرتعه الخصب, فقد استقبل كتّاب المقامات فن السجع استقبالا حسنا, فكان من أجل ذلك هو أخص خصائص أساليبهم في صياغة مقاماتهم".[2]

أما شوقي ضيف فيعلل استخدام بديع الزمان الهمذاني للسجع فيقول: " إنَّ سبب استخدام الهمذاني لصيغة السجع هو رغبته في الحصول على استحسان معاصريه من كتَّاب وأدباء ووزراء وغيرهم, إذ كانت هي الصيغة التي فتن بها معاصروه, ويثني على استخدام الهمذاني للسجع فيقول: "وهو يظهر براعة فائقة, حقا إنَّه لا يلتزمها دائما, ولكنه يجنح إليها غالبا, فالأصل عنده أن يسجع, ولا يترك السجع إلا نادراً, وكانت تسعفه في ذلك حافظة نادرة, وبديهة حاضرة, وذكاء حاد, وإحساس دقيق باللغة وأبنيتها, واستعمالاتها المختلفة. فما هي إلا أن يتوجه إلى الكلام حتى تنهال عليه الألفاظ من كل جهة, كأنها السيول, فهو يضع الكلمات في مواضعها في دقة وبراعة منقطعة النظير".[3]

يشيد بطرس البستاني بنثر البديع عموما فيقول: "يمتاز إنشاء البديع في لغة أنيقة التعبير, فيها رصانة البدو, ورقة الحضر, تلازمها الصنعة دون أن تفسد طبع صاحبها. فالهمذاني له باع طويل في تخير ألفاظه وتحسينها, يتعمد السجع فيردده في

(1)سورة الغاشية الآية: (13_14).

(2)النثر الفني, زكي مبارك, ج1, مرجع سابق, ص 64.

(3)المقامة, شوقي ضيف, ص32.

جمل قصيرة الفواصل, أو طويلتها, وربما تعددت فواصله متواطئة على حرف واحد, فيؤثر عندئذ تقصير الجمل ويقطعها تقطيعا".[1]

من المقامات التي جاء اختيارها؛ المقامة السجستانية, وسميت بذلك نسبة إلى سجستان, وهي أحد أقاليم بلاد فارس, أما مواطن السجع فيها فهي كثيرة, ومن أجمل هذه السجعات قوله على لسان راويته عيسى بن هشام: "واستخرتُ اللهَ في العزمِ فوجدته أَمامي, وفي الحَزمِ فوجدته إمامي, حتى هداني إليها فوافيتُ دروبَها, حتَّى وافت الشمسُ غروبَها...".[2]

هنا يتضح توافق الفاصلتين في كلمتي (أمامي وإمامي), وتناسقهما مع (الحزم والعزم), وكلمتي (ودروبها وغروبها), وجمالهما مع إيقاع كلمتي (فوافيت, وحتى وافت). وهو سجع خفيف لطيف.

ثم يقول: "سلوا عني البلادَ وحُصُونَها, والجِبالَ وحُزُونَها,[3] والأوديةَ وبطونَها, والبحارَ وعيونَها, والخيلَ ومتونَها, من الذي ملك أسوارَها, وعرِفَ أسرارَها...", ولعل في ذلك تناغم جميل في الكلمات المسجوعة, تطرب له الآذان. وانظر كيف زاوج الهمذاني بين العبارات حين أتى بها مقرونة بعبارات تكاد تكون متلازمة معها, فكثيرا ما يقال بطون الوديان, وعيون البحار, ومتون الخيل. وهذا نوع من السجع يسمى بالسجع المتعدد الفواصل.

للهمذاني مقدرة فائقة على التلاعب بالألفاظ, فيصنع منها عبارات متشاكلة حينا, ومتنافرة حينا آخر,

(1) أدباء العرب في الأعصر العباسية, بطرس البستاني, مرجع سابق, ص390.

(2)مقامات بديع الزمان الهمذاني, محمد عبده, ص 22

(3)الحزن بالفتح خلاف السهل, وهو ما غلظ من الأرض .

مثال لذلك قوله: "... يراني أحدُكم راكِبَ فرسٍ, ناثِرَ هوسٍ[1] يقول هذا أبو العجبِ. لا ولكنِّي أبو
العجائبِ, عاينتُها وعانيتُها,...". فالهمذاني ألّف بين الحروف, ثم قدم وأخر ليصنع منها أضدادا, يتضح ذلك في قوله: (عاينتها وعانيتها) فالمعاينة التي تعني مجرد المشاهدة هي ضد المعاناة التي تعني المعايشة المريرة القاسية للشىء. وقوله: "...أتوقع القافلة كل لمحة, وأترقب الراحلة كل صبحة,...أغتنم الجماعة أدركها, وأخشى فوت القافلة أتركها..."[2] فتشاكل المعنى واضح في (أتوقع وأترقب), وتنافره واضح في (أدركها وأتركها).

ثم يمضي متفننا في سجعه متلاعبا بألفاظه, فيقول مفتخرا على لسان بطل مقاماته أبي الفتح الإسكندرى, إنه (فاتح) إغلاق الخطوب تيمنا باسمه أبي الفتح, أي أنه من يحل عقد الشدائد, ولكنه لا يصل إلى ذلك إلا بعد معاناة وشدة إذ يقول:"...فقد والله صَحبتُ لها المواكبَ, وزاحمتُ المناكبَ, ورعيتُ الكواكبَ, وأنضيتُ المراكبَ...".[3] فهو هنا يجمع بين السجع والموازنة, ويوافق بين الألفاظ بلا إطالة مما يبعث في النفس الطرب. وهنا تتضح مقدرة الهمذاني على صنع البديع, يساعده في ذلك إلمام بشوارد اللغة, حتى لكأن الألفاظ تنقاد إليه انقيادا. وقد ذكر شوقي ضيف معلقا على حسن استخدام الهمذاني للسجع بقوله: ".... يعرف كيف يختار الكلمة

(1) الهوس خفة في العقل, تقرب من حد الجنون (ولعلها لفظة شائعة في العامية السودانية بنفس المعنى) . وناثر أي ناثر الكلام.

(2) مقامات بديع الزمان الهمذاني, محمد عبده, ص 62.

(3) المواكب: جمع موكب وهو الجماعة يجتمعون ركبانا ومشاة للزينة. المناكب: جمع منكب وهو مجتمع رأس الكتف والعضد. رعى الكواكب: راقبها ينتظر مغيبها, وهو مثل للقلِق. أنضى: أنضى بعيره إذا أهزله وأضعفه. والمراكب: المطايا.

المناسبة, وكيف يضعها في مواضعها, فلا نبوء ولا شذوذ, بل دائما دقة وضبط وإحكام في عذوبة وسلاسة وتناسق وانسجام".[1]

أما المقامة الأهوازية فهي تذخر بضروب البديع, وزخارف اللفظ, وقدسميت المقامة الأهوازية بهذا الاسم نسبة لبلدة أهواز, وهي بلدة تقع بين البصرة وبلاد فارس[2]. وقد وقع الاختيار على بعض فقرات منها, ويستهل الهمذاني مقامته بحديث راويته كعادته في استهلال مقاماته, فقال: "حدثنا عيسى بن هشام قال: كنت بالأهواز في رفقةٍ متى ما تَرَقَّ العينُ فيهم تَسَهَّلُ, ليس فينا إلا أمردُ بِكرُ الآمالِ, أو مُختطٌّ حَسَنُ الإقبالِ, مَرْجوٌّ الأيامِ واللَّيالِ...".[3]

أما نوع السجع في قوله: "وطعمنا السكباج, وركبنا الهملاج, ولبسنا الديباج" فهو سجع مرصع, وقد جاء طبيعيا وفي محله, لا تبدو عليه الصنعة المتكلفة, بل يبدو رقيق العبارات, متوافق الفقرات, منسجم المعنى, يبين مقدرة الكاتب على إيجاد اللفظ المناسب الرصين, في المكان المناسب.

يلجأ الهمذاني أحيانا إلى توليد العبارات ليحقق السجع, وهذا يؤدي إلى التكلف الذي يفسد جمال الأداء. وهو لم يتخل عن السجع حتى في شعره, كما ذكر مارون عبود بقوله: "إن لنثر البديع أثر بعيد في شعره, فهو لا يتخلى عن السجع والازدواج في هذا الشعر كقوله مثلا في مدح صاحب الجيش أبي علي:

(1) المقامة, شوقي ضيف, ص 33.

(2) نقلا عن مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني, شرح محمد محي الدين, ص62.

(3) ترق: مضارع من خماسي أصله تترقى, وتعني تصعد. وتسهل: من نزل إلى السهل, أسفل الأرض.

ما السَّيفُ محتطماً, والسَّيلُ مرتكماً والبحـــرُ ملتطمـــاً, والليـــلُ مقتربـــا أمضـــى شـــباً منـــك, أدهـــى منـــك صـــاعقةً أجدى يميناً, وأدنى منك مطَّلبا".[1]

يميل الهمذاني إلى الارتجال لذلك فقد رقت عبارته وسهلت, وقصرت سجعاته وعذبت, حتى كانت إلى صفاء الطبع وعذوبته أقرب منها إلى تعمُّل الصنعة وتعمُّدها.[2]

يقول صاحب أدباء العرب إن الهمذاني: "إذا تخلى عن السجع, لا يتخلى عن المجاز والتزيين... وقلما تقع على لفظٍ يعبر عن حقيقة معناه.".[3]

المحور الثاني

المحسنات اللفظية الأكثر ورودا في مقامات الهمذاني

يعد الجناس من أكثر أنواع البديع تبويبا وتنويعا عند علماء البلاغة, وقد عرَّف العلامة عبدالله الطيب الجناس بأنه: "ظاهرة موسيقية متميزة, تعطي اللفظ جاذبية ورونقا, كما يعطي المعنى عمقا".[4]

لا يستحسن الجناس إلا إذا ساعد اللفظ المعنى, ووازى مصنوعه مطبوعه مع مراعاة النظير, وتمكن القرائن. فينبغي أن ترسل المعاني على سجيتها لتكتسي من الألفاظ ما يزينها.[5]

---

(1)بديع الزمان الهمذاني, مارون عبود, ص38. الأبيات في ديوان الهمذاني: دراسة وتحقيق يسري عبدالغني عبدالله, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط3, 1424هـ – 2003م., ص 34

(2)الصبغ البديعي في اللغة العربية: أحمد إبراهيم موسى, دار الكاتب للطباعة والنشر, القاهرة,1969م, ص330.

(3)أدباء العرب: بطرس البستاني, ص402.

(4)المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: عبدالله الطيب, مطبعة جامعة الخرطوم, ط4, 1991م, ج2, ص262.

(5)علم البديع: محمود أحمد حسن المراغي, ص109.

أنواع الجناس:

ينقسم الجناس إلى قسمين رئيسيين هما: الجناس التام, وشرطه أن تتفق حروف اللفظين في عددها وترتيبها ونوعها وضبطها. وهذا القسم هو أفضل أنواع الجناس والمقدم عليها.أما الجناس غير التام, أو الجناس الناقص, فهو الذي يفقد بعض ما يشترط في الجناس التام[1]. وقد انقسم كلا النوعين إلى أقسام عديدة يمكن تلخيصها فيما يلي:

أ/ **الجناس التام:** ينقسم إلى ثلاثة أقسام هي: الجناس المماثل, والجناس المستوفى (بفتح الفاء), وجناس التركيب.

1/ الجناس المماثل: هو أن يكون لفظا الجناس من نوع واحد, أي يكونا اسمين أو فعلين أو حرفين[2].ومثال التجنيس التام بين اسمين قوله تعالى: "ويومَ تقومُ السَّاعةُ يُقسمُ المجرمون ما لبثوا غيرَ ساعةٍ...".[3]فكلمة (الساعة)

الأولى تعني يوم القيامة. وكلمة (ساعة) الثانية هي مطلق الوقت. وقيل ليس في القرآن الكريم من صنف الجناس التام سوى هذه الآية.[4].

غير أن ابن حجر قد استخرج آية أخرى اشتملت على الجناس التام[5], وهي في قوله تعالى: "...يكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بالأبْصَارِ, يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيلَ والنَّهارَ إنَّ في ذلكَ لعِبْرةً لأوُلي الأبْصَارِ".[6]

---

(1)علم البديع: محمود أحمد حسن المراغي, ص 110.

(2) نفسه.

(3)سورة الروم, الآية (55).

(4)شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع, تأليف: صفي الدين الحلِّي, تحقيق: الدكتور نسيب نشاوي, دار صادر بيروت, ط2, 1992م, ص64. وينظر كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز, تأليف: الإمام يحيى بن حمزة العلوي اليمني, مطبعة المقتطف بمصر, 1914م, (د.ط), ج2, ص355.

(5)ينظر أنوار الربيع في أنواع البديع, تأليف السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني, حققه وترجم لشعرائه: شاكر هادي شكر, مطبعة النعمان, النجف, ط1, 1388هـ_ 1968م, ج1, ص148.

(6)سورة النور,الآيتان: (43-44).

فكلمة (الأبصار) في الآية الأولى جمع بصر, وتعني الرؤية, وفي الآية الثانية جمع بصر والمقصود هنا العلم, أولو الأبصار أصحاب العلم.

ومن التجنيس المماثل بين فعلين قول أبي الفتح البُستي:

فهمتُ كتابك يا سيدي فهمتُ, ولا عَجَبٌ أنْ أهيما[1]

فمعنى كلمة (فهمتُ) في صدر البيت من الفعل (فَهِمَ), و(فَهِمتُ) في عجزه من الهيام, شدة العشق. ولعل التجنيس التام هو أكمل أنواع التجنيس وأعلاها رتبة, وهو أولها في الترتيب الأصلي[2].

وتقل أنواع الجناس التام في مقامات الهمذاني, ومنها ما جاء في المقامة المضيرية[3]:

"هذه داري, كم تُقَدِّر يا مولاي أنفقتُ على هذه الطَّاقةِ؟ أنفقتُ والله فوق الطَّاقةِ".

فالجناس التام هنا بين كلمتي (الطَّاقة والطَّاقة). فالأولى أراد منها ما يفهم من معناها حتى اليوم وهو الشباك. أما الثانية فتعني الوسع والاستطاعة. ونوعه تام مماثل. ومن الجناس التام ما جاء أبياتا كما في قوله على لسان بشرٍ[4] في المقامة البشرية[5]:

أحسنُ من يمشي على رجلينِ لو ضَمَّ بِشْراً بينها وبيني

أدامَ هجري, وأطالَ بيني ولو يقيسُ زيَنَها بِزيني

لأسْفَرَ الصُّبْحُ لَذِي عينينِ

(1)ديوان أبي الفتح البُستي. تحقيق دريِّة الخطيب ولطفي الصقال, مطبوعات مجمع اللغة العربية, دمشق 1989م. (د.ط), ص181. عجبٌ: حقها البناء على الفتح ونونت ضرورة.

(2)شرح الكافية البديعية, ص64.

(3)مقامات بديع الزمان الهمذاني, شرح محمد عبده, ص26.

(4)أدباء العرب, بطرس البستاني, ص395.بشر بن عوانة, هو شاعر أسطوري' خلقه البديع في مقامته البشرية فصنع منه بطلاً تاريخيا, ظنه الكثيرون شاعرا حقيقيا.

(5)مقامات بديع الزمان, شرح محمد عبده, ص280.

فكلمتي (وبيني) في البيت الأول, وكلمة (بيني) في البيت الثاني تمثلان جناس تام, وهو جناس مركب, فالأولى مركبة من حرف العطف (الواو) ومن اسم المكان (بين) متصل بضمير المتكلم الياء. بينما (بيني) الثانية فهي الفراق.

2/ الجناس المستوفَى:

هو ما كان بين لفظين مختلفين. أي اسم وفعل, أو اسم وحرف, أو فعل وحرف. ومثاله قول أبي تمام:

ما ماتَ من كرمِ الزَّمانِ فإنَّهُ يحيا لدى يحيى بن عبدالله [1]

والجناس هنا بين كلمتي (يحيا) و(يحيي), الأولى فعل مضارع, والثانية علم وهو اسم الممدوح.

3/ جناس التركيب:وهو ما تماثل ركناه, وكان أحدهما كلمة مفردة والآخر مركبا من كلمتين فصاعدا.[2] ومثاله قول أبي الفتح البستي:

إذا مَلِكٌ لم يكنْ ذا هِبَهْ فَدَعْهُ, فدولَتُهُ ذاهِبَهْ[3]

(فذا هبه) الأولى مركبة من: ذا بمعنى صاحب, وهبه بمعنى عطية. و(ذاهبة) الثانية من الذهاب.

ومنه قول الشاعر:

نَاظِرَاهُ بِما جَنَى نَاظِرَاهُ أَوْ دَعَانِي أَمُتْ بِما أَوْدِعَانِي[4]

(1)ديوان أبي تمام:شرح الخطيب القزويني, تحقيق محمد عبده عزام, دار المعارف, 1964م, (د.ط), ص132.

(2)أنوار الربيع في أنواع البديع, ابن معصوم, ج1, مرجع سابق, ص98.

(3)ديوان أبي الفتح البستي, تحقيق درية الخطيب, ولطفي الصقال, ص40.

(4)البيت منسوب إلى شمسويه البصري في يتيمة الدهر 415/3. وإلى أبي الفتح البستي في زهر الآداب 372/1.

الجناس المركب هنا في كلمتي (أو دعاني) و (أودعاني) فالأولى كلمة مركبة من حرف العطف (أو) و دعاني فعل أمر بمعنى: أتركاني. وأودعاني الثانية كلمة مفردة تعني ما تركتاه فيها من أثر.

أما الجناس المستوفى وجناس التركيب فلم تجد الباحثة أمثلة لهما في مقامات الهمذاني.

ب/ الجناس غير التام:

هو الجناس الذي يحدث بين لفظيه خلاف في أحد الشروط الأربعة الواجب توافرها في الجناس التام. وينقسم إلى ضروب عدة, منها:

1. **الجناس المضارع:**يكون فيه الحرفان متقاربين في المخرج[1]. ومثال الجناس المضارع قوله تعالى: "وَهُم يَنْهَونَ عنهُ وَيَنْأونَ عنه"[2]. فالجناس هنا بين كلمتي (ينهون وينأون).
2. **الجناس الناقص:**

هو ما اختلف فيه اللفظان في عدد الحروف, واختلافهما يكون إما بزيادة حرف في الأول نحو: "دوام الحال من المحال", أو في الوسط, نحو: (جدَّي وَجَهْدِي), أو في الآخر نحو: "الهوى مطيِّةُ الهوانِ".[3]

ومثاله من الشعر قول البهاء زهير:

أشْكُو وأشـكرُ فِعْلَهُ فاعْجَبْ لِشاكٍ مِنْهُ شاكِرْ

طَرْفِي وطَرْفُ النَّجْمِ فيـ كَ كِلَاهُما سَاهٍ وسَاهِرْ[4]

(1)علم البديع, محمود أحمد حسن المراغي, ص114.

(2)سورة الأنعام: الآية (26).

(3)جواهر البلاغة, أحمد الهاشمي, مرجع سابق, ص326.

(4)ديوان البهاء زهير, شرح وتحقيق: محمد طاهر الجبلاوي, ومحمد أبو الفضل إبراهيم. مطبعة دار المعارف بالقاهرة, ط2, (د.ت), ص 125/124.

الجناس هنا بين الكلمات: (شاكٍ وشاكر) و(ساهٍ وساهر).ومثاله بزيادة أكثر من حرف, قول الخنساء:

إنَّ البُكاءَ هو الشِّفاء من الجوى بين الجَوَانِح[1]

الجناس هنا في كلمتي (الجوى والجوانح).

الجناس المُصحَّف:هو ما اتفق ركنا الجناس, أي لفظاه في عدد الحروف وترتيبها, واختلفا في النقط.[2]

مثال ذلك قوله تعالى: "وهم يَحْسَبُونَ أَنَّهم يُحْسِنونَ صُنْعَاً"[3]. فاختلاف النقط هنا في الباء والنون, (يحسبون, يحسنون). أما مثاله من الشعر فقول أبي فراس الحمداني:

مِنْ بَحْرِ شِعْرِكَ أَغْتَرِفْ وَبِفَضْلِ عِلْمِكَ أَعْتَرِفْ[4]

فاختلاف النقط في (أغترف وأعترف) يبين الجناس المصحف.

من أمثلة الجناس المصحف في مقامات الهمذاني قوله:

"فهلْ مِنْ فتىً (يُغشِّيهِنَّ) أو (يُعَشِّيهِنَّ)".[5]

"إنَّ بَعد (الحَدثِ) (جَدَثاً), وإنكم لم تُخلقوا عبثا".[6]

"كيف به قبل رُكوبِهِ وَوُثُوبِهِ وكشْفِ (عُيوبِهِ) و(غُيوبِهِ)".[7]

(1)ديوان الخنساء, شرحه: ثعلب, أبوالعباس, أحمد بن يحيى بن سيار الشيباني النحوي. حققه: الدكتور أنور أبو سويلم, دار عمار للنشر, عمان, ط1, 1988م. ص328.

(2)علم البديع, الدكتور عبدالعزيز عتيق, مرجع سابق, ص210.

(3)سورة الكهف, الآية: (104).

(4)ديوان أبي فراس الحمداني: شرح الدكتور خليل الدويهي, دار الكتاب العربي' بيروت, لبنان ط2, 1414هـ-1994م, ص219.

(5)مقامات بديع الزمان الهمذاني, شرح محمد عبده, ص79.

(6)السابق, المقامة الوعظية, ص152.

(7)السابق, المقامة الحمدانية, ص175.

3. الجناس المُحرَّف:

يكون اختلافه بالحركات لا غير, فأما الأحرف فيه فإنها متماثلة, ومثاله قولهم: "لا تنال الغُرر إلَّا بركوب الغَرر"[1].

إذن فالجناس المحرف هو ما اختلف فيه اللفظان في الضبط, ومن ذك قول ابن الفارض:

هَلَّا نَهاكَ نُهاكَ عن لوم امرىءٍ لمْ يُلْفَ غيرَ مُنَعَّمٍ بِشَقاءِ[2]

يتضح اختلاف الضبط هنا بين كلمتي (نَهاك ونُهاك).

من أمثلة الجناس المحرف التي وردت في مقامات الهمذاني قوله في المقامة المطلبية[3]: "وهل المال إلا عارية مرتجعة, ووديعة منتزعة, ينقل من قوم لآخَرِين, وتخزنه الأوائل للآخِرين". ففي كلمتي (للآخرين وآخرين) جناس محرف واضح في فتح الأولى وكسر الثانية , إذ تعني الأولى (مغايرين), أي: غير هؤلاء القوم. والثانية جمع المتقدم التي هي عكس المتأخر.

4. جناس القلب:

"هو ماوقع الاختلاف فيه في ترتيب الحروف, فإن كان في كل الحروف فهو قلب كلّ, نحو"حُسامُه فتح للأوليائه, حتف لأعدائه". أو بعضها فقلب بعض, كقوله تعالى: "...فرَّقْتَ بينَ بني إسْرائيل.."[4]".[5]

ومن أمثلة قلب البعض قول المتنبي:

---

(1)كتاب الطراز, ليحيى بن حمزة العلوي, ج2, مرجع سابق, ص 359.

(2)ديوان أبي حفص شرف الدين عمر بن الفارض, المطبعة الأدبية, بيروت, دار عمار للنشر, ط1, 1988م, ص63.

(3)السابق, ص277.

(4)سورة طه, الآية: (94).

(5)شرح عقود الجمان في المعاني والبيان, جلال الدين السيوطي, مرجع سابق, ص334.

مُمَنَّعَةٌ مُنَعَّمَةٌ رَداحٌ يُكَلِّفُ لفْظُها الطيرَ الوقوعا[1]

ومثال قلب الكل من الشعر قول ابن نباتة في الأمير بهرام:

قيلَ كل القلوبِ من رهب الحربِ تضطربْ

قلتُ هذا تَخَرُّصٌ قلبُ بهرامَ مارَهِبْ[2]

فكلمة (بهرام) هي مقلوب كلمة (مارهب).

جناس القلب هو أحد أنواع الجناس غير التام, وقد ورد في مواطن عدة في مقامات الهمذاني. ومن ذلك ماجاء في المقامة الأسدية: "فاالويلُ لمن (فارقتَهُ), وطوبى لمن (رافقته)).[3] وفي المقامة الإبليسية: (يُزهى (بحِليتِهِ), ويُباهِي (بلحيتهِ)".[4]

5. الجناس المطلق والمشتق:

الجناس المطلق هو ما اختلف ركناه في الحروف والحركات, وجمع بين لفظيهما المشابهة, وهو ما يشبه الاشتقاق وليس باشتقاق, وذلك بأن يوجد في كل من اللفظين جميع ما في الآخر من الحروف أو أكثر, لكن لا يرجعان في المعنى إلى أصل واحد. وبهذا يُفرَّق بينه وبين المشتق. فإن المشتق يرجع ركنيه إلى أصل واحد.[5]

(1)ديوان أبي الطيب المتنبي,علق حواشيه وفسر كلماته اللغوية سليم إبراهيم صادر, المطبعة العلمية, بيروت, 1900م, (د.ط), ص73.

(2)البيتان منسوبان لابن نباتة, ولكنهما غير موجوددين في ديوانه, وقد أوردهما ابن حجة في خزانة الأدب وغاية الأرب, ص 49 .التخرص: تلفيق القول.

(3)مقامات بديع الزمان الهمذاني, محمد عبده, المقامة الأسدية, ص41.

(4)السابق, المقامة الإبليسية, ص211.

(5)أنوار الربيع في أنواع البديع, ابن معصوم, ج1, مرجع سابق, ص114.

فالمشتق نحو قوله تعالى: "فأَقِمْ وجهُكَ للدِّينِ القَيِّمِ".[1] فإن الركنين مشتقان من قامَ ويقومُ, فهما راجعان إلى معنى واحد.[2]

وغير المشتق نحو قوله تعالى: "...يا أَسَفِي على يُوسُفَ...".[3] وأصل اللفظين هنا مختلف.سمي هذا النوع (مطلقا) لأنه لما كانت حروفه مختلفة ولم يشترط فيه أمر سواهما قيل له مطلق.[4]

يتنقل الهمذاني في مقاماته بين ألوان الجناس المختلفة, فيكثر من الجناس المشتق, والمطلق, والمطلق يشبه المشتق في نوع الحروف, ويختلف عنه في أصل الكلمة, فالمشتق ترجع الكلمتان فيه لأصل واحد, بينما المطلق تختلف أصول لفظتيه.[5]

6. الجناس الملفق:

هو ألطفها موقعا في القلوب, وأحلاها ذوقا في الأسماع, وأصعبها مسلكا. وحدُّه أن يكون كل من ركنيه مركبا من كلمتين فصاعدا.وهذا هو الفرق بينه وبين المركب.[6]

لعل كثير من الشعراء قد أولع بهذا الضرب من ضروب الجناس, ومنهم أبي الفتح البستي, ومثال قوله في ذلك:

---

(1)سورة الروم, الآية: (43).
(2)أنوار الربيع في أنواع البديع, ابن معصوم, ج1, ص115.
(3)سورة يوسف, الآية: (84).
(4)كتاب الطراز, للإمام يحيى بن حمزة العلوي, ج2, ص360.
(5)السابق, ص359.
(6)أنوار الربيع, ص126.

إلى حَتْفِي سَعَى قَدَمِي أَرَى قَدَمِي أَرَاقَ دَمِي[1]

فالجناس كما يتضح هنا هو بين اللفظين (أرى قدمي, وأراق دمي).

للجناس أنواع أخرى كالمذيل, والمفروق, والملفوف, واللفظي, والزائد, والمضاف, والمحقق وغيرها, وفيه تفاصيل عديدة لم يسمح المجال بذكرها. غير أن الجناس لكي يكون مقبولا ومؤديا ما يراد منه فلا بد أن يكون غير متكلف, ويكون المعنى مقنعا للمتلقي.

يقول الجرجاني في ذلك: "لا يستحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا".[2]

يتضح مما تقدم أن الجناس ليس مجرد تلاعب بالألفاظ, أو مهارة في صنع العبارات, إنما هو تعبير فني يكسب الكلام قيما جمالية لها وزنها لدى الشعراء والكتاب والأدباء بصفة عامة, ولدى النقاد وعلماء البلاغة بصفة خاصة.

(1)ديوان البستي, ص 163.

(2)أسرار البلاغة, تأليف: أبي بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني النحوي, قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر, مطبعة المدني بالقاهرة. (د.ط) (د.ت), ص7.

المحور الثالث

المحسنات اللفظية الأقل ورودا في مقامات الهمذاني

أولاً لزوم ما لا يلزم:

يسمى الالتزام, والإعنات[1].

هو أن يجيء قبل حرف الرويِّ في (في الشعر), وما في معناه من الفاصلة (في النثر), ما ليس بلازم في مذهب السجع.[2]

مثاله قوله تعالى: "فأمَّا اليتيمَ فلا تقهرْ, وأمَّا السائلَ فلا تنْهَرْ".[3]

هذا النوع من أشق أنواع البديع صنعة, وأبعدها مسلكا, وقد أولع أبو العلاء المعري بهذا اللون فوضع فيه كتابا ضخما سمَّاه اللزوميات, أو لزوم مالا يلزم.

ومن نماذج لزوم ما لا يلزم عند الهمذاني ما جاء في المقامة المطلبية:

"اجتمعتُ يوماً بجماعةٍ كأنَّهم زهرُ (الربيعِ), أو نجومُ اللَّيلِ بعد (هزيعٍ), بوجوهٍ (مُضيَّةٍ), وأخلاقٍ (رضيَّةٍ), قد تناسبوا في الزِّيِّ و(الحالِ), وتشابهوا في حُسنِ (الأحوالِ), فأخذنا نتجاذبُ أذيالَ (المُذاكرةِ), ونفتحُ أبوابَ (المحاضرةِ),...هل الدُّنيا إلّا مُناخُ راكبٍ, وتَعِلّةُ ذاهبٍ, وهل المالُ إلّا عَاريَّةٌ (مُرتَجَعةٌ), ووديعَةٌ (مُنتزَعَةٌ)"(4).

فقد التزم الهمذاني في النماذج السابقة بما لا يلزم فأتى بحرف قبل حرف الروي يوافق الفواصل المسجوعة, فالمتلقي قد يلحظ هنا طول النفس وسهولة السرد لدى الهمذاني, خاصة إذا تابعنا المقامة إلى نهايتها. فالكلمات طيعة عنده, كأنه يقطفها من شجرة فيتناولها في سهولة ويسر, مما يدل على مقدرته في إدخال الألوان

(1)شرح الكافية البديعية, صفي الدين الحلي, تحقيق نسيب نشاوي, مرجع سابق, ص203.

(2)كتاب البديع لابن المعتز, ص 102.

(3)سورة الضحى, الآيات: (9_10).

(4)مقامات بديع الزمان الهمذاني, محمد عبده, المقامة المطلبية, ص 276_277.

البديعية المختلفة يوشح بها مقاماته, ويأتي معظمها عفوي الخاطر, لا يشوبه التكلف إلا نادرا.

وقوله في المقامة الجاحظية:

"وقومٍ قد أخذوا الوقتَ بين آسٍ (مخضودٍ), وورِدٍ (منضودٍ), ودَنٍ (مفصودٍ), ونأيٍ و(عودٍ),...ومعنا على الطَّعامِ رجلٌ تُسافرُ يدُهُ على (الخِوانِ), وتُسفرُ بين (الألوانِ), وتأخذُ وجوهَ (الرُّغفانِ), وتفقأُ عيونَ (الجِفانِ), وترعى أرضَ (الجيرانِ)"[1].

وفي المقامة الأصفهانية يسرد الهمذاني قصته ملتزما ما لا يلزم في أكثرها, ويسوق ذلك في سهولة ويسر وسلاسة, فلا يداخل المتلقي ملل حين الاطلاع عليها لما يتسم به النص من تناغم مشبع للذوق, وتلاحم مقنع للعقل. فيقول:

"أتوقع القافلةَ كُلَّ (لمحةٍ), وأترقبُ الرَّاحلةِ كلَّ (صَبحةٍ), فلمَّا حُمَّ (ماتوقعتهُ), نُودِيَ للصَّلاةِ نداءٍ (سمعْتَهُ), وتعيَّنَ فرضُ (الإجابةِ), فانسَللتُ من بينِ (الصَّحابةِ), أغتنمُ الجماعةَ (أُدرِكُها), وأخشى فوتَ القافلةِ (أترُكُها), لكنِّي استعنتُ بِبَركاتِ (الصَّلاةِ) على وعْثاءِ (الفلاةِ), فصرتُ إلى أوَّلَ (الصُّفوفِ), ومثلتُ (للوقوفِ),...وأنا أتصلَّى نارَ الصَّبرِ و(أتقلبُ), وأتقلى على جمرِ الغيظِ و(أتقلَّبُ), وليس إلَّا السُّكوتُ و(الصَّبرُ), أو الكلامُ و(القبرُ), لمَا عَرفتُ من خُشُونةِ القومِ في ذلك (المَقامِ), أن لو قُطِعتِ الصلاةُ دونَ (السَّلامِ), فوقفتُ بقدمِ (الضرورةِ), على تلكَ (الصُّورةِ), إلى انتهاءِ (السُّورةِ)"[2].

وجاء في المقامة الأسَديِّةِ:

(1)مقامات بديع الزمان الهمذاني, محمد عبده, المقامة الجاحظية, ص 87-88.

(2)مقامات بديع الزمان الهمذاني, محمد عبده, المقامة الأصفهانية, ص62_63.

"كانَ يبلغني من مقامات الإسكندري ومقالاتِهِ, مايَصْغَى إليهِ (النَّفورُ), وينتفِضُ له (العُصفُورُ), ويُروَى لنا من شِعرِهِ ما يمتَزِجُ بأجزاءِ النَّفسِ (رِقَّةً), ويَغمُضُ عن أوهامِ الكهَنةِ (دِقَّةً), وأنا أسألُ اللهَ (بقاءَهُ), حتَّى أُرزَقَ (لقاءَه),وأتعجبُ من قعودِ هِمَّتِهِ (بِحَالتِهِ) مع حُسنِ (آلتِهِ),... وأخذْنا الطَّريقِ ننتَهِبُ (مَسافتَهُ), ونستأصِلُ (شأفتَهُ), ولمْ نزلْ نَفرِي أسنمةَ (النُّجادِ), بتلكَ (الجيادِ)".[1]

وهكذا من خلال الأنواع المتعددة للبديع كان يتنقل الهمذاني من لون إلى لون, مستخدما براعته في اختيار الألفاظ, وحصيلته اللغوية تدعمه وتيسر له سبك مقامته على النحو الذي أراد.

ثانياً الاقتباس:

معناه لغة: يقال: قبستُ منه ناراً أقبَسَ قبْساً فأقبسني, أي أعطاني منه قَبَساً, وكذلك اقتبستُ منه ناراً, واقتبستُ منه علماً أيضاً أي استفدته.[2]

معناه اصطلاحا: هو أن يُضَمِّن المتكلمُ كلامَهُ كلمةً أو آيةً من آياتِ الكتابِ العزيز خاصة[3].

وقد قسمه ابن حجة إلى ثلاثة أقسام:

1_ محمود مقبول. 2- ومتاح مبذول. 3- ومردود مرذول.

فالأول: ما كان في الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبيِّ صلَّى الله عليه وسلم ونحو ذلك. والثاني ما كان في الغزل والرسائل والقصص. والثالث على ضربين:

(1) مقامات بديع الزمان الهمذاني, محمد عبده, المقامة الأسديّة, ص 35_36.

(2)لسان العرب, ج1, مادة قَبَسَ. مرجع سابق.

(3)شرح الكافية البديعية, صفي الدين الحلي, ص 326.

أحدهما, ما نسبه الله تعالى إلى نفسه, ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه. والآخر تضمين آية كريمة في معنى الغزل.[1]

ومن نماذجه في الشعر قول صفيِّ الدين الحلي:

هذي عصايَ فيها مآربُ لي وقد أَهُشُّ بها طَوراً على غَنَمِي[2].

ومن أمثلة الاقتباس عند الهمذاني: "أنَّكم أخبثُ من إبليسَ ديناً, قال: (ربِّ بما أغويتني".[3]

وفي ذلك إشارة لقول الله تعالى مخبرا عن إبليس وتمرده: "قال ربِّ بِما أغويتَني لأُزينَنَّ لهم في الأرضِ ولأَغوينَّهم أجمعين".[4]

وقوله في ذات المقامة: "أبالله وآياتِهِ ورسولِه تَستَهزِئون, ...وأنتَ يا ابنَ هِشام تؤمنُ ببعضٍ وتكفُرُ "

فالجزئية الأولى مقتبسة من قوله تعالى: "ولَئنْ سَألتَهُم لَيَقُولُنَّ إنَّما كُنَّا نخوضُ ونلعبُ, قُلْ أباللهِ وآياتِهِ ورسولِهِ كُنتُم تستهزئون".[5]

أما الجزئية الثانية فهي مقتبسة من الآية الكريمة في قوله تعالى: "ثُمَّ أنتُم هَؤلاءِ تَقْتُلونَ أَنْفُسَكُم... أفتُؤمنونَ ببعضِ الكتابَ وتكفُرونَ بِبعَضٍ...".[6]

---

(1)خزانة الأدب وغاية الإرب: تقي الدين أبي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي.شرح: عصام شعيتو, دار مكتبة الهلال, بيروت, لبنان, ط الأولى, 1987م, ج2, ص455.

(2)ديوان صفي الدين أبو المحاسن عبدالعزيز بن أبي القاسم الحلّي, مطبعة حبيب أفندي خالد, دمشق, 1297هـ, ص 511.

(3)مقامات بديع الزمان الهمذاني, محمد عبده, المقامة المارستانية, ص 142.

(4)سورة الحجر, الآية: (39).

(5)سورة التوبة, الآية: (65).

(6)سورة البقرة, الآية: (85).

وقوله في مقامة أخرى: "وقد خطبَ منكَ جاريةً صَفراءَ تُعجِبَ الحاضرينَ, وتَسُرُ النَّاظِرينَ".[1]

الهمذاني هنا قد أخذ المعنى من قوله تعالى في بقرة بني إسرائيل: "قَالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يبيِّنُ لنا مالونُها قالَ إنَّهُ يقولُ إنَّها بقَرَةٌ صَفْراءُ فاقعٌ لونُها تَسُرُّ النَّاظرينَ".[2]

في المقامة الخمرية جاء قوله: "ثُمَّ ابتكر إلى هذه البُيُوت التي أذِن اللهُ أن تُرفَعُ,...ودُووِيَ الأكْمَهُ فأَبصَرَ"[3], ففي الجزء الأول من هذا المثال اقتبس الهمذاني قوله من الآية الكريمة في سورة النور: "في بُيُوتٍ أذِنَ اللهُ أن تُرفَعَ ويُذكرَ فيها اسمُهُ يُسَبِّحُ له فيها بالغُدوِّ والآصالِ".[4]

أما في الجزء الأخير من المثال فقد اقتبس المعنى من قوله تعالى: "وَرَسُولاً إلى بني إسرائيلَ أَنِّي قد جئتُكُمْ بآيةٍ مِنْ ربِّكُمْ...وأُبرِىءُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ...".[5]

وجاء في المقامة المطلبية:

"فقد غيَّركَ عليَّ الزَّمانُ, وما أنسانيكَ إلا الشيطانُ".[6]

قد اقتبس هذا المعنى من قوله تعالى في سورة الكهف: "قالَ أرأيتَ إذْ أوينا إلى الصَّخرةِ فإنِّي نَسِيتَ الحوتَ وما أنسانيه إلَّا الشيطَانُ أَنْ أذكرَهُ واتخذَ سبيلَهُ في البحرِ عَجَباً".[7]

(1)مقامات بديع الزمان الهمذاني, المقامة الصُّفريَّة, ص 261.

(2)سورة البقرة, الآية: (69).

(3)مقامات بديع الزمان الهمذاني, محمد عبده, المقامة الخمرية, ص 271- 274.

(4)سورة النور, الآية: (36).

(5)سورة آل عمران, الآية:(49).

(6)مقامات بديع الزمان الهمذاني, محمد عبده, المقامة المطلبية, ص 278.

(7)سورة الكهف, الآية: (63).

كعادة البديع يجيد عند استخدام الزخارف اللفظية, فيضعها في الموضع المناسب دون شذوذ أو نفور, فتدعم المعنى, وتعمق الخيال, وتنمق الأسلوب, فتقنع المتلقي.بما إن الاقتباس قد قسم إلى ثلاثة أقسام فإن الاقتباس في المقامات من القسم الثاني, وهو المتاح المبذول, إذ تندرج المقامة تحت اللون القصصي في لائحة مصنفات الأدب.

ثالثاً الموازنة:

هي تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية, نحوقوله تعالى: "ونمارقُ مصفوفةٌ, وزرابيُّ مبثوثةٌ"[1], فإن مصفوفة ومبثوثة متفقتان في الوزن دون التقفية.[2] وتتفق الموازنة وتختلف مع السجع, وقد أشار ابن الأثير إلى ذلك بقوله: "وهذا النوع أخو السجع في المعادلة دون المماثلة, لأن في السجع اعتدالاً وزيادة في الاعتدال, وهي تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد, وأما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود في السجع ولا تماثل في فواصلها, فيقال: "كل سجع موازنة, وليس كل موازنة سجعا, وعلى هذا فالسجع أخص من الموازنة)"[3].

ولم ترد الموازنة كثيرا في مقامات الهمذاني, ومن نماذجها:"وَسَاعَدْناهُ حتَّى شَبِعَ, وحادثْناهُ حتَّى أَنِسَ"[4]. فإن الفعلين (شبع, وأنس) متفقان في الوزن دون القافية.

وجاء في المقامة الإبليسية:

(1)سورة الغاشية, الآيات: (15_16).

(2)جواهر البلاغة والبديع والبيان, أحمد الهاشمي, مرجع سابق, ص 331.

(3)المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: لضياء الدين بن الأثير, قدمه وعلق عليه: دكتور أحمد الحوفي, ودكتور بدوي طبانه, دارنهضة مصر للطباعة والنشر, الفجالة, القاهرة, القسم الأول, (د.ط),(د.ت), ص 213.

(4)مقامات بديع الزمان الهمذاني, محمد عبده, المقامة النَّاجمية, ص 219.

"فإذا أنهارٌ مُصرَّدَةٌ, وأشجارٌ باسِقةٌ, وأثمارٌ يانِعةٌ".[1]

فقد جاءت الصفات (مصردة وباسقة ويانعة) جميعها على وزن فاعل, فحققت بذلك الموازنة.ومن الموازنة كذلك ما جاء في المقامة البلخية:"فقال: بُلِّغْتَ الوطَنَ, وقَضَيْتَ الوَطَرَ ".[2] فكانت الموازنة بين كلمتي (الوطن والوطر).

أما في المقامة العراقية فقد ورت الموازنة في قوله: "ومِن أينَ هذا البيانُ؟ قلتُ: من العِلمِ, رُضْتُ صِعَابَهُ, وخُضْتُ بِحارَهُ".[3]

إن الموازنات التي وردت ضمن مقامات الهمذاني, وغيرها من الألوان البديعية قليلة الورود في مقاماته, قد زادت _رغم قلتها_من تنوع الأجناس البديعية, وخرجت بها من رتابة التكرار لجنس واحد أو جنسين من ألوان البديع, فطعمت النص المقامي بهذا التنوع.

رابعاً التوشيع

هو عبارة عن إتيان المتكلم باسم مثنى في آخر الكلام, أو البيت, لم يكن بعده إلا مفردان هما عين ذلك المثنى.. فيكون الأخير منهما هو قافية البيت, أو سجعة الكلام.[4]

ومثاله من الشعر قول الشاعر:

أُمِّيُّ خَطٌّ أبانَ اللهُ مُعجِزَهُ بطاعةِ الماضِيَينِ السيفِ والقلمِ[5].

ومن أمثلة التوشيع التي جاءت في مقامات الهمذاني: "وَخِفنا القَاتِلِينِ: الظمأَ والجوعَ".[1]

(1)مقامات بديع الزمان الهمذاني, المقامة الإبليسية, ص 208.

(2)السابق, المقامة البلخية, ص 19. الوطر: الحاجة.

(3)السابق, المقامة العراقية, ص 165. رضت صعابها: أي ذللتها.

(4)شرح الكافية البديعية, مرجع سابق, ص 139.

(5)ديوان صفي الدين الحلي, مرجع سابق, ص 691.

فهنا أتى الكاتب بمثنى وهو القاتلان, ثم فسر ووضح المقصود بهذا المثنى, بقوله: "الظمأ والجوع". وفي المقامة الغيلانية أفضى الحديث إلى ذكر من أعرض عن خصمه حِلماً, ومن أعرض عنه احتقاراً, فقال: "حتَّى ذكرنا الصَّلتانَ: العبديَّ والبعيثَ, وما كان من احتقارِ جريرٍ والفرزدقِ لهما".[2]

وفي موطن آخر يقول الهمذاني: "حالانِ لا يُفلِحُ صاحِبُهُما: فقيرٌ كدَّهُ الجُوعُ, وغريبٌ لا يُمكِنُهُ الرُّجُوعُ".[3]هنا يتخلل التوشيع شيءٌ من الحكمة, فيزداد المعنى عمقاً. ولعل الحكمة تتخلل التوشيع في كثير من الأحيان, إذ إنَّ الاسم المثنى الذي يطلقه الكاتب يكون في الغالب صفة أتى بها المتحدث اجتهادا منه, وربما أشرك فطنته ومهارته اللغوية في الإتيان بهذه الصفة المثناة, ومن أمثلة التوشيع الذي أتى في إطار الحكمة قوله في المقامة الوعظيِّة: "والنَّاس رجلانِ: عالِمٌ يرْعَى, أو متعَلِّمٌ يَسْعَى".[4]
وكذلك ما جاء في المقامة المطلبية:

"إيَّاكم والانخداعَ فليسَ الفخرُ إلَّا في إحدى الجهتينِ, ولا التقدُّمُ إلَّا بإحدى القِسمتينِ: إمَّا نسَبٌ شريفٌ, أو عِلمٌ مُنيفٌ".[5]

أما في المقامة الوصية, فقد شبه الكاتب كلاً من الكرم والقرم باللصين, لان كلاً منهما يذهب بالمال من
حيث لا يشعر صاحبه, كما أن السارق كذلك. فقال: "فلا آمَنُ عليكَ لِصَّينِ: أحَدُهُما الكَرمُ, واسمُ الآخَرِ القرمُ".[1]

---

(1)مقامات بديع الزمان الهمذاني, المقامة الأسدية, ص 39.

(2)السابق, المقامة الغيلانية, ص 46. الصَّلتان: بتحريك اللام اسم لجملة من الشعراء, منهم العبدي هذا, وآخر ضبي, وثالث فهمي. والبعيث بفتح الباء وكسر العين مثال فعيل. وهؤلاء الذين يذكرهم جميعهم من شعراء الدولة الأموية مشاهير.

(3)السابق, المقامة المجاعية, ص 147.

(4)السابق, المقامة الوعظية, ص 153.

(5)السابق, المقامة المطلبية, ص277.

وهنالك أسماء مثناة عرفت لدى العرب, وهي المثناة للتغليب, وقد ذكر أحمد الهاشمي معنى التغليب فقال: "هو ترجيح أحد الشيئين على الآخر في إطلاقه لفظه عليه,... نحو الأبوين: للأب والأم".[2] ومنها الجديدان: الليل والنهار. والخافقان: المشرق والمغرب. والأسودان: الماء والتمر.الشيخان: أبوبكر وعمر. ومنها ماذكر في القرآن الكريم مثل الثقلان: الإنس والجن.

وتختلف هذه الأسماء المثناة للتغليب عن المثنى في التوشيع في أن المثنى للتغليب يعرف المقصود منه من اللفظ المثنى نفسه, لكن التوشيع لا يمكن التنبوء بمعناه إلا بعد شرحه بالمعطوف والمعطوف عليه, لأن المعنى هنا يكون من وحي المتكلم نفسه.

هذه بعض نماذج المحسنات اللفظية التي وردت في مقامات بديع الزمان, وإن كان قد برع في صناعتها فلا غرابة في ذلك, فالهمذاني يمتلك رصيدا ضخما من المفردات اللغوية مما أعانه في صنعته, فكان بارعا في تشكيل وتفجير طاقات الألفاظ والتعامل مع الإيقاعات.

الخاتمة:

من الدراسة السابقة يمكن القول, وبحسب ما تقدم من نماذج, إن أكثر المحسنات اللفظية ورودا عند الهمذاني هي السجع, يليه الجناس بأنواعه المختلفة, وضروبه الكثيرة المتعددة, ثم تقل هذه المحسنات في الضروب الأخرى فيأتي لزوم ما لا يلزم,

(1) مقامات الهمذاني, المقامة الوصية, ص 233. القرم: شدة الشهوة إلى اللحم. (وتعليق الباحثة على هذه الكلمة إنها لفظة في اللهجة العامية السودانية بذات المعنى الفصيح).

(2) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع, أحمد الهاشمي, ص 214-215.

ثم الاقتباس, وتقل شيئا فشيئا. وهناك بعض المحسنات اللفظية تكاد المقامات تخلو منها مثل التسميط والتشريع والتطريز, غير أن المحسنات اللفظية ولكثرتها وتفرعها, قد يصعب إحصاؤها, وقد لا يسع المجال لحصرها.

توصلت هذه الدراسة إلى أن فن المقامات فن شامل جمع بين كثير من الفنون الأدبية المختلفة، فقد جمع بين النثر والشعر، كما اشتمل على كثير من العلوم الأدبية والبلاغية والنحوية، وجمعت المقامة كما هائلا من شوارد اللغة العربية وغريبها وفصيحها. كما توصلت هذه الدراسة إلى أن علم البديع علم واسع الأبواب, متشعب الفروع, ومن الصعب حصره أو رصده.

التوصيات:

توصي هذه الدراسة بالآتي:

1. الاهتمام بفن المقامات بالتشجيع على إعداد بحوث ودراسات علمية موسعة عنه, وطبع كتيبات لكل مقامة على حدة, ليسهل تناولها وفهمها والاستفادة منها, لما في المقامات من مفردات عربية فصيحة, فيساعد ذلك في الحفاظ على اللغة العربية واستعادة اللسان العربي الفصيح.
2. تضمين بعض هذه المقامات في المناهج الثانوية أو الجامعية لرصانة لغتها.
3. إدخال فن المقامات ضمن المسابقات التي تقام في مجال الشعر والنثر والقصة وغيرها من المسابقات الأدبية.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. أدباء العرب في الأعصر العباسية: بطرس البستاني, دار مارون عبود , بيروت, لبنان, 1979م. (د.ط).

2. أسرار البلاغة: تأليف أبي بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن, بن محمد الجرجاني النحوي, قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر, مطبعة المدني بالقاهرة. (د.ط), (د.ت).
3. أنوار الربيع في أنواع البديع: تأليف السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني, حققه وترجم لشعرائه: هادي شاكر شكر, مطبعة النعمان, النجف, ط1, 1388هـ _ 1968م, ج1.
4. بديع الزمان الهمذاني: مارون عبود, دار كلمات عربية للنشر والتوزيع, 2013هـ. (د.ط).
5. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: تأليف السيد أحمد الهاشمي, ضبط وتوثيق وتدقيق: د. يوسف الصميلي, المكتبة العصرية, صيدا, ط1, 1999م.
6. خزانة الأدب وغاية الإرب: تقي الدين أبي بكر المعروف بابن حجة الحموي, شرح: عصام شعيتو, دار مكتبة الهلال, بيروت, لبنان, ط2, 1990م, ج2.
7. ديوان أبي تمام: شرح الخطيب القزويني, تحقيق: محمد عبده عزام, دار المعارف, 1964م. (د.ط).
8. ديوان أبي حفص شرف الدين عمر بن الفارض, المطبعة الأدبية, دار عمار للنشر, ط1, 1988م.
9. ديوان أبي الطيب المتنبي, علق حواشيه وفسر كلماته اللغوية سليم إبراهيم صادر, المطبعة العلمية, بيروت, 1900م. (د.ط).
10. ديوان أبي الفتح البستي: تحقيق درية الخطيب, ولطفي الصقال, مطبوعات مجمع اللغة العربية, دمشق, 1989م. (د.ط).

11. ديوان أبي فراس الحمداني: شرح الدكتور خليل الدويهي, دار الكتاب العربي, لبنان, ط2, 1414هـ - 1994م.
12. ديوان بديع الزمان الهمذاني: دراسة وتحقيق يسري عبدالغني عبدالله, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط3, 1424هـ - 2003م.
13. ديوان البهاء زهير: شرح وتحقيق محمد طاهر الجبلاوي, ومحمد أبو الفضل إبراهيم, مطبعة دار المعارف بالقاهرة, ط2. (د.ت).
14. ديوان الخنساء: شرحه ثعلب, أبو العباس أحمد بن يحيى بن سيار الشيباني النحوي, حققه الدكتور أنور أبو سليم, دارعمار للنشر, عمان, ط1, 1988م.
15. ديوان صفي الدين أبو المحاسن عبدالعزيز بن أبي القاسم الحلي, مطبعة حبيب أفندي خالد, دمشق, 1297هـ.
16. شرح عقود الجمان في المعاني والبيان: تأليف جلال الدين السيوطي, تحقيق د. إبراهيم محمد الحمداني, ود. أمين لقمان الحبّار, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط1, 2011م.
17. شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة وإحاسن البديع: تأليف صفي الدين الحلي, تحقيق الدكتور نسيب نشاوي, دار صادر بيروت, ط2, 1992م.
18. علم البديع: الدكتورعبدالعزيز عتيق, دار النهضة العربية, بيروت, لبنان. (د.ط), (د.ت).
19. علم البديع في البلاغة العربية: د. محمود أحمد حسن المراغي, دار العلوم العربية, بيروت, لبنان, ط1, 1991م.

20. كتاب البديع: أبو العباس عبدالله بن المعتز, شرحه وحققه عرفان مطرجي, مؤسسة الكتب الثقافية للطباعة والنشر, بيروت, لبنان, ط1, 1433هـ – 2012م.
21. كتاب البديع لعبدالله بن المعتز, قد اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس عليه أغناطيوس كراتشقوفسكي عضو أكاديمية العلوم في لينغراد, طبعة لندن لينغراد 1935م.
22. لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري, دار صادر بيروت, 1956م, ج15. (د.ط).
23. لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور, دار صادر بيروت, ط3, 2004م.
24. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: لضياء الدين ابن الأثير, قدمه وعلق عليه دكتور أحمد الحوفي, ودكتور بدوي طبانه, دار نهضة مصر للطبع والنشر, الفجالة, القاهرة, القسم الأول, (د.ط),(د.ت).
25. المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها: عبدالله الطيب, مطبعة جامعة الخرطوم, ط4, 1991م, ج2.
26. مقامات بديع الزمان الهمذاني, قدم لها وشرح غوامضها الشيخ محمد عبده, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط3, 1426هـ – 2005م.
27. النثر الفني في القرن الرابع : زكي مبارك, مطبعة السعادة, مصر, ط2, ج1.(د.ت).